(١١٤) سورة الناس

في رحاب السورة الكريمة

سورة مكية، آياتها ست نزلت بعد سورة الفلق وفيها الاستجارة والاحتماء برب الأرباب من شر أعدى الأعداء أبليس لعنة الله عليه وأعوانه من شياطين الأنس والجن والذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء وقد ختم الكتاب العزيز بالمعوذتين وبدئ بالفاتحة ليجمع بين حسن البدء وحسن الختام وذلك غاية الحسن والجمال لأن العبد يستعين بالله ويلتجئ إليه من بداية الأمر إلى نهايته.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾

معانى المفردات:

أعوذ: أعتصم وأستجير — برب الناس: مربيهم وخالقهم

ملك الناس: مالكهم — إله الناس: معبودهم

الوسواس: الموسوس جنيا أو إنسيا — الخناس: المتوارى المختفى

التفسير:

﴿ قُلْ أَعُوذُ ﴾ أى قل يا محمد أعتصم وألتجئ وأستجير ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ أى بخالق الناس ومربيهم ومدبر شئونهم الذى أحياهم وأوجدهم من العدم وأنعم عليهم بأنواع النعم قال المفسرون: إنما خص الناس بالذكر وإن كان جلت عظمته رب جميع الخلائق تشريفا وتكريما لهم من حيث إنه سخر لهم ما فى الكون، وأمدهم بالعقل والعلم وأسجد لهم ملائكة قدسه، فهم أفضل المخلوقات على الإطلاق ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ أى مالك جميع الخلق حاكمين ومحكومين، ملكا تاما شاملا كاملا يحكمهم ويضبط

أعمالهم ويدبر شئونهم فيعز ويذل ويغنى ويفقر ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ أى معبودهم الذى لا رب سواه قال القرطبى: وإنما قال ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ لأن فى الناس ملوكا فذكر أنه ملكهم وفى الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم وأنه سبحانه هو الذى يستعاذ به ويلجأ إليه دون الملوك والعظماء[1] وترتيب السورة بهذا الشكل فى منتهى الإبداع لأن الإنسان يعرف أن له ربا لما يشاهده من أنواع التربية "رب الناس" ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرف فى خلقه غنى عن خلقه فهو ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم إذا زاد تأمله عرف أن الله هو المستحق للعبادة لانه لا عبادة إلا للغنى عن سواه المفتقر إليه كل ما عداه ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ وإنما كرر لفظ الناس ثلاثا و لم يكتف بالضمير، لإظهار شرفهم وتعظيمهم والإعتناء بشأنهم قال ابن كثير هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل "الربوبيه" و "الملك" و "الإلهية" فهو رب كل شىء ومليكه وإلهه وجميع الأشياء مخلوقة له[2] ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ أى من شر الشيطان الذى يلقى حديث السوء فى النفس ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان؟؟ الذى يخنس أى يختفى ويتأخر إذا ذكر العبد ربه فإذا غفل عن الله عاد فوسوس له ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ أى الذى يلذ لشدة خبثه فى قلوب البشر صنوف الوساوس والأوهام قال القرطبى: ووسوسته هو الدعاء لطاعته بكلام خفى يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت[3] ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ من بيانيه أى هذا الذى يوسوس فى صدور الناس هو من شياطين الجن والأنس كقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾[4] فالأية استعاذة من شر الإنس والجن جميعا ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكا وخطرا من شياطين الجن فإن شياطين الجن يخنس بالاستعاذه، وشياطين الإنس يزين له الفواحش ويغريه بالمنكرات ولا يثنيه عن عزمه شىء والمعصوم من عصمه الله.

---

(١) القرطبى ٢٠/٢٦٠.

(٢) مختصر ابن كثير ٣/٦٩٦.

(٣) القرطبى ٢٠/٢٦٣.

(٤) الآية (١١٢) سورة الأنعام.

الإعراب:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ	قل فعل أمر مبنى على السكون، والفاعل لضمير مستتر تقديره أنا، أعوذ فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة والفاعل مستتر تقديره أنا برب جار ومجرور متعلقان بأعوذ، إلناس مضاف إليه وجملة أعوذ فى محل نصب مقول القول.
مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ	ملك بدل من رب أو نعت مجرور أو عطف بيان والناس مضاف إليه مجرور إله الناس نفس هذا الإعراب.
مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ	من شر جار ومجرور متعلقان بأعوذ، الوسواس مضاف إليه مجرور الخناس نعت مجرور.
ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ	الذى اسم موصول فى محل جر نعت لوسواس قال فى الكشاف: ويجوز فى محله الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم يوسوس مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو فى صدور جار ومجرور متعلقان بيوسوس، الناس مضاف إليه مجرور.
مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ	من الجنة جار ومجرور متعلقان بيوسوس، والناس معطوف مجرور بالكسرة.

من ألوان البلاغة

لقد تضمنت السورة الكريمة بعض الصور البلاغية نذكر منها:

- الإضافة للتشريف والتكريم ﴿ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ومثلها فى الآيتين بعدها.
- الطباق بين ﴿ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾.
- الإطناب بتكرار الاسم ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ زيادة فى التعظيم لهم والاعتناء بشأنهم العظيم.
- الجناس فى قوله تعالى "يوسوس.... الوسواس" وهو جناس اشتقاق.

مافى السورة من الجرس الموسيقى الذى تفصل الألحان بعذوبة البيان وذلك من خصائص القرآن الكريم.